باب التقريظ والانتقاد

ملوك العرب

الجزء الثاني

تناولنا الجزء الاول للكتابة عنهُ ونحن حيث يتردّد علينا الزوار وتتراكم الاشغال فلا نستطيع ان نوفيهُ حقهُ من الوصف ولا ان نتصفح منهُ الّا صفحات قليلة. اما هذا الجزء فاتفق انهُ اتانا باكراً فجلدناهُ واخذناهُ الى البيت حيث يسهل علينا ان نتفرغ لهُ فوجدنا فيهِ من بليغ الوصف وسامي الافكار ومختصر الآراء ما تملكنا فرّت ساعة بعد ساعة يومين ونحن نرافق الاستاذ ريحاني في استطاره ونجالس امراء العرب الذين جالسهم وحادثهم ونسمع ما قال وما قالوا ونحن على ثقة تامة انهُ امين في الوصف والنقل كما هو امين في الاسم حتى لوددنا مراراً ان نكون في رفقتهِ ولو ركبنا ذلولاً ايامًا متوالية في تلك الصحاري الشاسعة وان نرى ملوك العرب في مجالسهم وندرس فيهم الاخلاق الفطرية والمكتسبة

اكثر الكتب التي تنشر الآن اما انها كتب ادب يصنفها اصحابها وهم جالسون في مكاتبهم وعقولهم تملي على اقلامهم او كتب علم او تاريخ اكثرها منقول او مترجم. وليس لاصحابها فيها الّا فضيلة البحث والتنقيب والجمع والتبويب. اما كتاب الريحاني « ملوك العرب » فخلاصة اسفار طويلة شاقة في جزيرة العرب والعراق برًّا وبحراً اكثرها على ظهور الجمال في قفار جرداء واحاديث مع اعظم زعماء العرب في هذا العصر ووصف ذلك بقلم عالم مطلع على تواريخ الامم وآدابهم وسياساتهم صافي الذهن صريح القول رشيق المعاني فكله احديث جامع بين عقل الفيلسوف وقريحة الشاعر وظرف الاديب ولم يقف عند هذا الحد بل تناول قضية الانتداب في سورية والعراق وشرحها شرح المؤرخ المحقق والقاضي المنصف وشيء من كياسة السياسي

الى القارئ مثالاً مما وصف به السلطان عبد العزيز ابن السعود قال انها كلمة من مذكراته

«سمعاً قيل في ابن سعود فهو رجل قبل كل شيء رجل كبير القلب والنفس والوجدان.

عربي تجسمت فيه فضائل العرب الى حد يندر في غير الملوك الذين زينت آثارهم شعرنا وتاريخنا ، وتجسمت فيه كذلك من آفاتهم ما لا يحاول ان يخفيه . رجل صافي الذهن والوجدان ، خلو من الادعاء والتصلف ، خلو من التظاهر الكاذب ، قص علينا ليلة امس قصة حرب من حروبه وبيت الرشيد وختم قصته العجيبة بهذه الكلمات : «لا أخذناهم في تلك الموقعة ولا كسرونا . ترى الصحيح . تحتسي اللي لنا واللي علينا » (١) . ونفخ في يده وقد رفعها في شكل بوق الى فمه كأنه يقول « نشرها كالهواء لمن يريدها ولا نخاف غير الله » (صفحة ٥٣)

ولم يكتف بهذا الوصف المجمل بل اقام الادلة الفعلية على ما وصف به هذا السلطان من اقامة العدل وتأمين السابلة والكرم الحاتمي والاهتمام بمصالح الرعية قال :

«اما المظهر الجميل في عدل ابن سعود فاليك مثلاً صغيراً منه . كنا في المقير نحتاج الى الكثير من الحطب ، وكان يجيء البدو باحمال منه يبيعونها الى رؤساء الخدم باسعار غالية لقلة الحطب في ذلك المكان ولعلمهم بحاجة الشيخ (اي السلطان) وضيوفه الانكليز اليه

«وقف يوماً احد هؤلاء الحطابين ومعه اربعة احمال محملة . ساومه قيم السلطان عليها ، فطلب الجمال روبيتين(٢) ثمن كل حمل ، وسعره الاعتيادي نصف روبية . نزل الجمال الى روبية ونصف . رفض القيم شراءها . ساق الجمال جماله . ناداه القيم ودفع له روبية فابى . فقال القيم وكان الجمال قد ولى باحماله بدوي قواد . لولا الشيخ والله لادبته

« او تظن انهم كانوا يعاملون مثل هذا الحطاب مثل هذه المعاملة لو كنا في معسكر تركي او اوربي وكان الجيش بحاجة الى الحطب او كانوا يكرهونه على البيع بما يريدون ثم يسخرونه . لولا الشيوخ لتعل الخدامون بالبدو الحطابين مثل هذه الفعلات . ولكن حق البدو يعطى لهم — وحقهم ان يبيعوا ما يملكون بما يشاؤون ويستطيعون . اما حق ابن سعود فيؤخذ منهم بالعدل ، وان اقتضى الامر بسيف العدل البتار

« العدل اساس الملك . والامن اول مظهر من مظاهر العدل . وفي نجد اليوم من الامن ما لا تجده في بلاد الانتداب السعيدة ولا في البلاد المتمدنة . لا يظنني القارئ مبالغاً بما اقول ، واست على ما اقول مستشهداً بنفسي ، مع ان رحلتي النجدية استمرت

(١) تحكي الذي لنا واقتي علينا . عرب العراق والشام يلفظون الكاف تش . وعرب نجد يخففونها فيلفظونها تي . تحتسي اي تحكي

(٢) الروبية من عملة الهند وهي تساوي نحو سبعة قروش مصرية

خمسة اشهر قطعت في اثنائها الدهناء مرتين جنوباً في طريق من الحسا الى الرياض ، وشمالاً في طريق من القصيم الى الكويت وكانت حقائبي وفيها مالي مكسرة الاقفال مفتوحة وهي مع الحملة بعيدة مني النهار كلهُ ، وكان في خدمتي اناس من البدو ، ولم افقد مع ذلك شيئاً من حوائجي ولا ورقة من اوراقي . الا اني لا اقدم نفسي حجة لاثبات ما اقول عن الامن في نجد لاني كنت اسافر بطريقة ممتازة محجوباً بعشرة الى خمسة عشر رجلاً من رجال السلطان

« ولكن الامن في نجد لا يحتاج الى رحلتي مثالاً واثباتاً . ان لهُ اكبر دليل واقطع حجة في اهل البلاد انفسهم ، المسافرين من قطر الى قطر ، وفي القوافل التي تسير اربعين يوماً في ملك ابن سعود من طرف الى طرف ، من القطيف مثلاً الى ابها ، او من وادي الدواسر الى وادي سرحان ، دون ان يتعرض لها احد من البدو او الحضر ، دون ان تُسأل من اين وال اين

« قدمت مثلاً صغيراً على العدل . وهاك مثالاً صغيراً على الامن في نجد اليوم . كانت الطرق في الاحساء في عهد الاتراك لا تعبر الاَّ بقوة عسكرية ، او بدفع « الخوة » . وكانت الطريق بين العقير والحسا ، وهي طريق التجارة الى نجد الاسفل ، اكثرها واشدها اخطاراً . فكان التاجر العربي المسلم الذي يروم الوصول الى الهفوف — مسافة اربعين ميلاً — يضطر ان يدفع « الخوة » كلما اجتاز خمسة اميال او عشرة من هذه الطريق الخفيفة — طريق التجار والاموال . جاءها الضحان من الجنوب ، وبنو مرة من الربع الخالي ، والمناصير من قطر وما دونها ، وبنو هاجر من الشمال من نواحي القطيف والكويت ، وجاء من داخل البلاد ، من وراء الدهناء ، الدواسر الاشاوس ، فتاموا على هذه الطريق وربطوها وقطعوها وتقاسموا اموال قوافلها

« كان يجيء التاجر من البحرين مثلاً فيدفع قبل ان يطأ برجلهِ العقير « خوة » للضحان . ومن العقير الى النخل خمسة اميال وخمسون ريالاً « خوة » للمناصير . ومن النخل الى ام الدر خمسة اميال وخمسون ريالاً « خوة » لبني مرة . ومن ام الدر الى العلاة خمسون ريالاً « خوة » لبني هاجر . ومن العلاة الى ... الخ واذا فاز التاجر المسكين بحياتهِ وبقي شيءٌ في كيسهِ ، فمن المؤكد ان احمالهُ لا تصل كلها الى الحسا . وكان اذا خرج عسكر الترك لتأديب احد من هؤلاء العشائر يطاردهم البدو فيغلبونهم ، ويأخذون خيلهم وثيابهم ،

ويرجعونهم الى الحسا حفاة عراة . ثم يجيء البدوي منهم راكباً حصان الجندي التركي ليبطره على مرأى من السلطة المدنية

« هذه حال الاحساء قبل ان سقطت في يد ابن سعود . اما اليوم — قد مررنا في النفود بجمل بارك ، رازح تحت حمله . فسألت عن صاحبه فقيل لي انهُ سار في طريقه وسيرجع بعد ان يصل الى البلد بجمل آخر يحمل البضاعة . وقد يموت الجمل الرازح ويبقى حملهُ على قارعة الطريق عشرة ايام فيعود صاحبهُ فيجدهُ وما مستهُ يد بشرية ، كما تركهُ في مكانهِ . وكيف تمكن ابن سعود من اقامة مثل هذا الامن وتوطيده في بلاده ؟ بامرين : اولهما الشرع وثانيهما الارادة والوجدان في تنفيذ احكام الشرع تنفيذاً لا يعرف التردد ولا التمييز ، ولا الرأفة ولا المحاباة »

ولم يكتف الاستاذ الريحاني بوصف اسفاره بل انتبه لما رآهُ من الآثار القديمة ووصفهُ وخلص آراء العلماء فيهِ ومن ذلك المكان الذي رآهُ في جزيرة البحرين واستدلَّ العلماء الباحثون من الآثار التي وجدت فيهِ انهُ كان للفينيقيين الاقدمين او ان الفينيقيين أتوا من هناك . ولو أطلع على الخطبة النفيسة التي القاها المرحوم المستر فلوير في الجمعية الجغرافية المصرية في أواخر سنة ١٨٩١ وترجمناها ونشرناها في مقتطف يناير سنة ١٨٩٢ لرأى فيها دليلاً آخر على ان الفينيقيين جاؤوا من خليج فارس ومروا بالقطر المصري واقاموا فيهِ زمناً طويلاً سبقياً على ما جاء في اشعار هوميروس عن سفر منلاوس وهو « اتيت الى قبرس وفينيقية والى المصريين والاثيوبيين والصيدونيين والارمن »

والكتاب كتاب السنة وفي جزئيهِ اكثر من ٨٠٠ صفحة كبيرة وكثير من الصور والرسوم وهو حريٌّ بان يكون في مكتبة كل من يحب اللغة العربية وابناءها

تاريخ الناصرة

لم يضع احد لمدينة من مدائن القطرين السوري والمصري تاريخاً جامعاً كما وضع حضرة القس اسعد منصور هذا التاريخ لمدينة الناصرة فقد كتب فيهِ ما ملأ ٣٣٠ صفحة كبيرة بحرف دقيق جمع فيها ما اخبرهُ بنفسهِ وما وجدهُ في مختلف الكتب والتفاسير قال في هذا الصدد :

« راجعت اولاً ما بين يدي من المؤلفات المتعلقة بالارض المقدسة وكتب التفسير وهي ليست بالعدد اليسير . ثم زرت مدرسة الآثار الاميركية في القدس American School of Archeology اكثر من مرة وصرفت فيها الساعات الطوال في تقليب

ما بين دفات مؤلفاتها وهي كما ينتظر كثيرة . ونقلت من تضاعيف صفحاتها ما وجدتهُ عن الناصرة . واهم هذه المؤلفات بالنسبة الى موضوع كتابي تخطيط فلسطين الغربية لكوندر The Surveyof Western Palestine . ثم اخذت ابحث في الناصرة وبين اهلها عن كل ما يتعلق بها وبهم مما يستحق ان يدوّن وكاتبت كثيرين من الذين تحققت انهم يعرفون عنها اموراً هامة مثل مسز زلر امرأة القس زلر بنت المطران كوبت وغيرها ورويت عن الشيوخ وذوي الخبرة من اهل الناصرة كثيراً من اخبارها. كنت كلما رويت عن احد خبراً قصصتهُ على آخرين وتحققتهُ ومحصتهُ وزدت عليهِ ما جد الى ان صار في اعتقادي صافياً كاملاً . وهكذا كان دأبي في كل ما نقلتهُ ورويتهُ فلم اكتفِ بالنقل بل استعملت ما يقتضيهِ حكم العقل والتمحيص والانتقاد والاستنتاج

«انهُ وان تكن المؤلفات التي طالعتها واستقيت منها الاخبار تعد بالعشرات وقداشرت اليها كلها أو جلها في سياق التأليف ووجدت فيها ونقلت عنها اموراً هامة عن الناصرة الاّ انهُ ليس بينها الاّ القليل مما بحثهُ مقصور على الناصرة وهذا القليل قليل جداً بالنسبة الى اهمية المدينة وقداستها ولولا ما وجدتهُ في الناصرة نفسها وما رويتهُ عن اهلها مما لم يدون بعد لما كان هذا المؤلف كما يجب ان يكون وكما هو الآن

واليك اهم المصادر الخاصة التي اعتمدت عليها

١ تاريخ الناصرة لكاستون لي هردي Gaston le Hardy طبع باريز سنة ١٩٠٥ ترجمهُ من الفرنساوية الى العربية الشيخ فارس الخوري اللبناني المتوفى ٨ ك ٢ سنة ١٩١٢ ولم يطبع وعندي النسخة الاصلية بخط المؤلف

٢ تاريخ الناصرة عن تقويم الارض المقدسة بالعربية طبع الاباء الفرنسيسكان في القدس

٣ الناصرة باللغة الفرنساوية تأليف الاب بروسبر فيود Du.R.P.Prosper Vinu I D.F.W رئيس دير ترا سانطا في الناصرة طبع باريز سنة ١٩١٣

٤ الناصرة باللغة الفرنساوية تأليف الاب اثناس برون AthanasePrune l.e R.F. رئيس ميتم اللزريان في الناصرة طبع نيس سنة ١٩٠٨

٥ الناصرة اليوم باللغة الانكليزية للدكتور سكرمجر Scrimegour طبيب المستشفى البريطاني في الناصرة طبع ادنبرج سنة ١٩١٣

٦ تاريخ الناصرة تأليف يعقوب فرح خط بتاريخ سنة ١٨٥٧ توجد نسخة منهُ

عند حفيده قدس الاب الخوري صالح فرح

٧ تاريخ الناصرة لحنا سمارة خط منهُ نسخة بخط المؤلف في مكتبة المحقق عيسى اسكندر المعلوف

٨ سجلات الكنائس من اواسط القرن ١٨

٩ سجل العقود الرسمية للشيخ عبد الله الفاهوم من اوائل القرن ١٩ سميتهُ بالسجل الفاهومي موجود عند حفيده عبد الله بك الفاهوم

١٠ صكوك ورقم أخرى بعضها يرجع الى القرن ١٧ اشرت اليها والى الذين وُجدت عندهم في سياق التاريخ »

هذا وكل صفحة من هذا التاريخ تشهد للمؤلف بدقة البحث وحسن الاستنتاج و بانهُ كان مغرمًا بالاحاطة بالموضوع من كل جهاتهِ ولو تناول ما لا اهمية كبيرة لهُ لدى غير سكان الناصرة . وحبذا لو عني غيرهُ عنايتهُ بجمع التواريخ القيمة من مدننا الكبيرة كالقاهرة والاسكندرية ودمشق و بيروت واورشليم وانطاكية وطرابلس واللاذقية

السائح الممتاز

جاءنا السائح الممتاز محافلاً على عادتهِ بمقالات لنوابغ ابناء العربية واكثرهم من الجالية السورية في اميركا الذين اشربت قلوبهم حب لغتهم وآداب اللغات الاوربية . اجالوا بصرهم في الكون الواسع فرأوا فيهِ ما لم يرَهُ اسلافنا بسقط اللوى بين الدخول وحومل وامعنوا في الفلسفة الحديثة فاختاروا منها حقائق اجتماعية عملية ترقي نوع الانسان فقال شاعرهم جبران خليل جبران « ما اكرم الحياة وما اسنى مباهجها ليت لي الف يد منبسطة تمتد وتتناول وتمتلئ ثم تفرغ لتتناول وتمتلئ ثانية بدلاً من يد مرتعشة مستترة بطيات ثوابي . وليت لي الف عين ترى كل ما يعرضهُ عليَّ الوجود من عجائبهِ وطرائفهِ وليتني ابقى ثائقاً الى مرأى ما خفي عني من اسراره ومكنوناته » . وقال ايضاً « احب من الناس العامل وماذا عساني اقول في من يكره العمل يحمل في جسدهِ وروحهِ وفي من يأبى العمل لانهُ في غنى عن الربح وفي من يحتقر العمل متوهمًا انهُ اشرف من ان يلوث يديهِ بفروزات التراب »

وقال الشاعر الحكيم ايليا ابو ماضي

وتينة غضة الافنان باسقة قالت لاترابها والعيب يحتضرُ
بئس القضاء الذي في الارض اوجدني عندي الجمال وغيري عندهُ النظر

لاحسنَ على نفسي عوارفها فلا يبين لها في غيرها أثر
كم ذا اكلف نفسي فوق طاقتها وليس لي بل لغيري الغيء والثمر
لذي الجناح وذي الاظفار بي وطر وليس في العيش لي فيما ارى وطر
اني مفصلة ظلي على جسدي فلا يكون به طول ولا قصر
ولست مثمرة الا على نقة ان ليس يطرقني طير ولا بشر
عاد الربيع الى الدنيا بموكبه فازّينت واكتست بالسندس الشجر
وظلت الشبنة الحمقاء عارية كأنها وتد في الارض او حجر
ولم يطق صاحب البستان رؤيتها فاجتثها فهوت في النار تستعر
من ليس يسعو بما تسخو الحياة به فانهُ احمق بالحرص يفتخر

هذا من بعض ما في السائح ومن المقالات القيمة المبنية على البحث والتحقيق مقالة الاستاذ محمد حلمي طيّاره امام السفارة المصرية في وشنطون وموضوعها «الخلافة» ولو اطلع حضرتهُ على كتاب حديث في هذا الموضوع بالانكليزية The Caliphate by Arnold لوجد فيهِ حقائق اخرى

ومقالة روح الشرق في نهضة الغرب بقلم الاستاذ وليم كاتسفليس وسنأتي على خلاصتها في الجزء التالي

ومقالة الاستاذ فيلبب حتي وموضوعها « مشاكلنا » وقد قال واصاب انّ اولها المشكل الاقتصادي لان الحياة الجسدية هي الاساس الذي تشاد عليهِ انواع الحياة العليا

وفي هذا العدد صورة صاحب الجلالة ملك مصر وصورة صاحب الدولة سعد زغلول باشا وسيف الله بسيري باشا الذي كان وزيرنا المفوض في وشنطون وصورة الامير عبد الكريم وصور كثيرين من الذين كتبوا فيهِ وهو مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد مثل الاعداد التي سبقتهُ

الاخلاق

العدد الممتاز

صدر العدد الممتاز من مجلة الاخلاق مدبجاً باقلام نخبة من الكتاب نظماً ونثراً بدأهُ الشيخ عباس ابو شقرا المساعد الاول في تحرير جريدة الهدى بقصيدة انيقة اللفظ بليغة المعنى تلتها مقالة لحضرة نعوم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى شيخ الصحافة

العربية في المهجر موضوعها رابطة الدهور والعقول اي القراءة وقد فصّل كيف يجب على الانسان ان يقرأ وماذا يجب ان يقرأ . ويلي ذلك كثير من المقالات النفيسة والقصائد البليغة كمقالة العلم والعقل بقلم يوسف افندي صالح الحلو وهدف الشقاء للآنسة فكتوريا طنوس والزواج والتناسل والاستعداد الارقي للمرض بقلم الدكتور يوسف رزق . وحول الياذة هوميروس بقلم الاستاذ نجيب ابرهيم . والامومة والتربية لاسعد افندي ملكي وتجديد الشباب للدكتور فواد شطاره . والمنشّ والتزود لخصها ج . طعمه . ومن الاشعار البليغة في هذا الجزء قصيدة حكمية لنعمه افندي الحاج مطلعها

ليت الاولى عبدوا النضار افاقوا ان الحياة تجمّع وفراق

وابيات ابيّات للامير يوسف شديد ابي اللمع وصف بها ممرضات الصليب الاحمر . وفي هذا الجزء صور كثيرة لم نرَ ما يفوقها رونقاً وحسن طبع في اجمل المجلات الاوربية والاميركية . وقد طبعت في المطبعة التجارية السورية الاميركية في نيويورك لصاحبها سلوم مكرزل

هذان العددان الممتازان من الاخلاق والسائح يدلان على ان اخواننا السوريين في اميركا يعتنون بلغة وطنهم الاصلي اشد عناية وقد تفننوا في ادبها كما تفنن العرب في الاندلس وانهم مع هذه العناية الادبية لم يهملوا الرقي المادي فانقنوا فن الطباعة كما اتقنوا سائر الاعمال الصناعية والتجارية وصار اغنياؤهم مثل الاميركيين كرماً

نهضة فرنسا العلمية

في القرن التاسع عشر

مما يسرنا في النهضة الحديثة في مصر والشام والعراق الاهتمام بنقل كتب العلم والادب الراقي من اللغات الافرنجية الى العربية . ومن ذلك هذا الكتاب فان ملخصهُ اسمعيل بك مظهر المعروف لدى قراء المقتطف بمقالاته العلمية والفلسفية والادبية اراد ان يشجع النهضة العلمية العربية بشرح النهضة الفرنسوية العلمية معتمداً على ما كتبهُ العلامة جون ڤيودورمرتز « في تاريخ الفكر الاوربي في القرن التاسع عشر » . فهل يتاح لنهضتنا كما اتيح للنهضة الاوربية رجال مثل باكون ونيوتن ولابلاس ولافوازيه وبريستلي ودونج . ولكن موائد العلم مباحة للجميع في هذا العصر . والجامعات الاوربية والاميركية فاتحة ابوابها لكل طالب وليس علينا الاّ ان نطلب العلم فيها ونقرنهُ بالعمل . ولو كنا

حرتز كتابهُ هذه السنة لقرن اسم اينشتين باسم نيوتن ورجح كما يرجح كثيرون الآن ان نظرية النسبية الجديدة ستقضي على كثير من مبادئ اقليدس ونيوتن . وحبذا لو اطلع اسمبل بك على مصطلحات اصحاب العلوم الواردة في هذا الكتاب فجاراهم فيها فان كلمة exacte في العلوم ليس معناها التامة بل الخصة كالجبر والهندسة وذلك يقابل العلوم الممتزجة كالكيمياء والفسيولوجيا. وكلمة fluxion في الرياضيات ليس معناها التفاضل بل السيَّال وكلمة statique ليس معناها الاحصاء بل التوازن وعلم جرًّا . وقد طبع هذا الملخص طبعاً متقناً جدًّا في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

فلسفة التاريخ العثماني

تأليف السيد محمد جميل بيهم

هذا الكتاب من الكتب القيمة التي اخرجها مؤلفها بعد ان راجع مؤلفات كثيرة وتناول منها ما يقتضيهِ موضوعهُ ويوبهُ تبويباً منطقيًّا حتى استحق ان يسمَّى «فلسفة التاريخ العثماني»

في الكتاب نحو ٣٠٠ صفحة فلا تجد صفحة منها خالية من شواهد استخرجها المؤلف من كتب المؤرخين الغربيين والشرقيين . تناول فيها خلاصة تاريخ الترك قبل الاسلام وبعدهُ وتواريخ الشعوب التي اتصلوا بهما في اسيا واوربا وافريقية وما كانت لطباعهم واحوال معاصريهم من التأثير في ارتقائهم وانحطاطهم . واعجب ما نراهُ في هذا الكتاب مقدرة المؤلف على جمع كل هذه المواد في اقل من ٣٠٠ صفحة مع ما بناهُ عليها من الاحكام الفلسفية والنتائج المنطقية ومجاهرتهُ بما يراهُ حقًّا ولو خالف المذاهب الشائعة فقد قال عن تيمورلنك انهُ نهى عن التعرُّض للمشتغلين والمدارس والجوامع لما دخل بغداد وكانت لهُ عناية بالصناعة والمنافع العامة وانشأ في البراق الاقنية والسدود للري والف كتاباً سماهُ تنسيقات قال فيهِ ليون كاهن ان لا مثيل لهُ

وقال عن آل عثمان « لم يقصروا في شيء من موجبات الملك تقصيرهم في نشر العلم وتعزيز التمدن فقد حكموا مائة من السنين وهم لم ينشئوا في اثنائها مدنية حديثة ولم يعملوا على احياء حضارة قديمة وانما كان مثلهم كمثل ملوك الرعاة (هكسوس) الذين تسلطوا على مصر نحو خمسة قرون ثم اجلوا عنها ولم يخلفوا فيها اثراً يذكر » . ثم استدرك فقال ان آل عثمان « لم يعدموا سلاطين عطفوا على العلم واهله مثل اورخان ومراد الاول

وجلبي محمد ومحمد الفاتح وسليمان القانوني فاذا نوهنا باسمائهم فما ذلك عن اعتقاد بانهم اوفوا الواجب وانما تتقدم في تاريخ آل عثمان كما تفتقد الواحة في الصحراء الكبيرة » صفحة ١٣٦ و١٣٧

ومما نرى المؤلف نقلهُ ولم ينتقدهُ ان مكتبة طرابلس كان فيها ثلاثة ملايين من المجلدات اي انها كانت اكبر من مكتبة المتحف البريطاني

وقد طبع الكتاب بمطبعة صادر في بيروت وهو مزدان بكثير من الصور والخرائط اما الصور فطبعها غير جلي وكان الواجب ان تطبع طبعاً جلياً في هذا الكتاب النفيس

ثلاثة مؤلفات في الكيمياء

ثلاثة مؤلفات كبيرة في موضوع علمي واحد في الكيمياء اساس العلوم الطبيعية والصناعية لثلاثة من اساتذة هذا العلم في مصر والشام تهدي الى المقتطف في شهر ! ان ذلك لاكبر دليل على الجهة التي اتجهها التعليم الآن

الاول في المعادن خاصة للسيد عبد الوهاب القنواتي استاذ الكيمياء والنبات في المعهد الطبي العربي من الجامعة السورية بدمشق وهو الجزء الثاني ويظهر من اشارة فيهِ ان الجزء الاول كان في العناصر غير المعدنية وقد قال في مقدمة هذا الجزء الثاني انهُ بحث فيهِ في المعادن وصفاتها وخواصها ومميزاتها واستعمالها في الطب والصناعة واضاف اليهِ بعض التراكيب التي يحتاج اليها الصيدلاني في صيدليتهِ والدائم في صناعتهِ وكشف فيهِ الغطاء عن بعض الاسرار القديمة التي يحتال بها بعض المشعوذين على الناس لسلب اموالهم والتسلط على عقولهم . فهو علمي عملي وقد اعتمد في تأليفهِ على كثير من الكتب الكيماوية الفرنسوية وعلى ثلاثة من الكتب العربية القديمة وهي شرح الكتاب في صناعة الذهب لابي القاسم العراقي وهو خطي قديم وكتاب الشذور وهو خطي قديم ايضاً وكتاب البرهان في علم الميزان لجابر بن حيان الكوفي وهو خطي قديم ايضاً

والمؤلف الثاني في جزئين عنوانهما « خلاصة الكيمياء الحديثة » تأليف الاستاذ امين ابراهيم كيل والاستاذ حبيب اسكندر مدرس الكيمياء بجامعة القاهرة الاميركية وهما يتناولان ابحاث الكيمياء غير العضوية الوصفي منها والطبيعي على اسلوب تدريسي . وقد اوضحا الكلام بصور ورسوم كثيرة متقنة كما يجب ان تكون كل الكتب التدريسية

والمؤلف الثالث يماثل الثاني في موضوعهِ وترتيبهِ واسلوب البحث فيهِ وعنوانهُ « مبادىء

الكيمياء » وهو من تأليف الدكتور ابي بكر محمد بكر . وقد قررت وزارة المعارف تدريس المؤلفين الثاني والثالث في مدارسها وهما مطبوعان طبعاً متقناً على ورق جيد لا كالكتاب الاول فانهُ سقيم الطبع والتجليد

حصاد الهشيم

من الكتَّاب من يسترسل غير هياب ولا وجل يعدو عدواً في سبيل غير آمنة يزينها لهُ الغرور سبيلاً سوياً . ومنهم (من اذا انشا وشّى ، وان عبّر حبّر ، واذا اوجز اعجز وان بيّن شده) لا تصل الكلمة الى رأس يراعته قبل ان يمحصها العقل ويحقق من نقاء جوهرها ، ومن الغرض الذي وضعت لهُ ، ومن تأثيرها في نفس القارىء ، اولئك هم الذين اذا كتبوا اشبعوا ، واذا انتقدوا انصفوا ، يستجيبون النفع لذاته غير راغبين من بعد ذلك في جزاء ولا شكر

ونحن نلمّ بذلك الماعَّ بمناسبة ظهور مصنف جديد هو (حصاد الهشيم) الذي صنفهُ الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني . والكتاب ليس في موضوع واحد بل هو كما يقول صاحبهُ في مقدمته (مقالات مختلفة في مواضيع شتى كتبت في اوقات متفاوتة وفي احوال وصروف لا علم لك بها ولا خبر على الارجح ، وقد جمعت الآن وطبعت . . . . وليست ادعي لنفسي فيها شيئاً من العمق او الابتكار او السداد ولا انا ازعمها تحدث انقلاباً فكرياً في مصر او في ما هو دونها ، ولكني اقسم انك تشتري عصارة عقلي وان كان فجاً ، وثمرة اطلاعي وهو واسع »

اما الكتاب فنافع بما ادمج فيهِ من طريف الآراء ومستملح الفكر وبما وسعهُ من شتات الموضوعات ، ومتنوع الشؤون ، التالد منها والطريف ، فينما تسمع الكاتب يتحدث اليك في شأن من شؤون ابن الرومي او شكسبير اذا به ينتقل بك من ذلك الحديث الى الكلام على ما كس نوردو واشباهه من المحدثين النبغاء . وفي الكتاب صور متشابهات واخر متباينات تساعد القارئ على استقراء عويص ما في الكتاب من افكار نظيمة متسقة متناسقة اخرجها الكاتب على اسلوب الباحثين من الغربيين في توعر عربي قشيب

واما الكاتب فمعروف بين القارئين — مضطلع بآداب اهل الغرب والشرق لهُ آثار قليلة من نثير ونظيم يعجب بها انصار التجديد — وهو وان كان من اشياع المذهب الجديد الاَّ انهُ يكتب باسلوب جزل متين كأن بهِ نزعة الى اساليب القدماء في الترسل . انظر

الى قوله في رسالة من كتابه هذا « في حومة السياسة الآن ركدة قصيرة الاجل يرصد في خلالها كل فريق اهبته ، ويحشد لما بعدها قوته ، وغدا سنشبع من الطبل والعيال ومن ابواق الدعوة الى اقدس النضال . فما علينا لو اهملنا هذه الفرصة واركضنا الفكر في حقيقة الادب ؟ في ميدان خالص لوجه الانسانية قاطبة ، لا تعتلج فيه الا القوى النزاعة الى الكمال ، ولا تشرئب فيه العيون الا الى مثل الجمال والجلال ؟ نعم ماذا علينا واي بأس من ذلك اليست حياة الادب خاصة والفنون عامة ، هي طليعة كل نهضة سياسية واجتماعية ، اين في تاريخ امة وثبت الى الحياة القوية دون ان يهيئ لها الادب اسبابها الخ »

حسن حسين

الانتقام العذب

وضعت هذه الرواية الكاتبة الانكليزية الذائعة الصيت ماري كورلي ، وهي من الروايات التي تأخذ اللب باحكام وضعها وتنسيق وقائعها وما فيها من المفاجئات الغريبة ، ومع ما بلغته هذه الكاتبة من ذيوع الشهرة بين جمهور القراء فان الناقدين الانكليز لا يعترفون لها بمقام رفيع بين روائييهم . ولا نعلم ايّ الحكمين نعتمد احكم الجمهور ام حكم الناقدين خصوصاً لان القول بان الجمهور يقبل على الروايات المشوقة غير ناظر الى محاسن الفن مردود بان هذا الجمهور نفسه يقبل ايضاً على روايات يحسبها الناقدون اعلى ما بلغه الفن الروائي الانكليزي في هذا العصر كرواية هتشنصن « اذا جاء الشتاء » ورواية سكلر لويس « الشارع العام » حتى بلغ ما بيع منهما مئات الالوف

اما ترجمة الرواية فمن قلم الشاعر الناثر المشهور اسعد افندي خليل داغر وقد اجتمع له فيها صفاء الديباجة مع سلامة الاسلوب ومتانة التركيب فجاءت تحفة ادبية انيقة

✻ الشيخ جمعه وقصص اخرى ✻ كان للمرحوم محمد بك تيمور نجل العلامة احمد تيمور باشا ولع خاص بالفنون الادبية على اختلافها فعالج الشعر من ناحية فجاء بالبلبل المطرب والف روايات تمثيلية وقصصاً قصيرة تصوّر الحياة المصرية احسن تصوير وهذه مجموعة لاخيه محمود بك فرع آخر من هذه الدوحة النضرة فيها حكايات قصيرة او اقاصيص قدّم لها مقدمة سهلة عن مقام الاقاصيص في الادب الاوربي . وقد طالعنا بعض هذه الاقاصيص فاذا فيها صدق في الوصف وبساطة في الاسلوب تصوّر للقارئ حالة

الشبان العصريين في مصر تصويراً تغلب فيهِ ناحية التشاؤم على ناحية التفاؤل وقد صدق محمود بك في وصفها في المقدمة حين الكلام على المذهب الواقعي Realist اذ قال « فكتاباتهُ (اي الكاتب الرياليست) مرآة صادقة لاشخاص بيئتهِ وحوادثهم تظهر على لوحتها المصقولة حقائق الحياة ... بل هي اكثر من مرآة . هي مجهر يريك خفايا النفوس البشرية .. »

والمجموعة تحوي ١٢ اقصوصة في ٢٠٠ صفحة وقد طبعت بالمطبعة السلفية بمصر

﴿ ديوان بدوي الجبل ﴾ صاحب هذا الديوان شاب تغلب في شعرهِ المعاني الوطنية فلهُ من قصيدة :

اليوم معركة الحياة فما الذي ... اعددت من عدد ليوم صدامها
من ليس يمنع حقهُ في حربها ... هيهات يحفظ حقهُ بسلامها

ولهُ من قصيدة اخرى

بيت العروبة قبلتي ومحجتي ... لا طورهُ قصدي ولا عرفانهُ
من بعض اسماء العروبة ارزهُ ... يوم الفخار ونيلهُ وفراتهُ
كالروض ملتف الخمائل ناضراً ... ما ضرهُ لو نوّعت زهراتهُ

ولهُ شعر بليغ في مطالب اخرى كما في قصيدتهِ « نفثات عودي » حيث يقول

في ظلمة الاحزان من نغماتهِ ... نفسي الحزينة تستعير النورا
احنو عليهِ معانقاً متنهداً ... فكاني امٌّ تضمُّ صغيرا

و بيانهُ على هذا النسق من فصاحة الالفاظ ومتانة التركيب وصفاء الديباجة . وقد طبع الديوان بمطبعة العرفان بصيدا وصفحاتهُ ٢٠٨

﴿ اديان العرب في الجاهلية ﴾ لم يصل الينا كتاب عربي كُتب قبل الاسلام وقد قال بعضهم ان الكتب لم يحدث الاَّ سنة سبعين للهجرة . وقال حسن صديق خان في ابجد العلوم « انهُ اختُلف في اول من صنف فقيل الامام عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج البصري المتوفى سنة خمس وخمسين ومائة وقيل ابو النصر سعيد بن ابي عروبة المتوفى سنة ست وخمسين ومائة » (انظر مقالة الكتب في الاسلام للسيد محمد كردعلي

المشورة في مقتطف اغسطس سنة ١٩٠٣) . ومن ثم يظهر ما عاناهُ حضرة القاضي الفاضل الاستاذ محمد نعمان الجارم في جمع هذا الكتاب من مختلف المظان العربية . وبهذا لو تمكن من الوقوف على ترجمة الكتابات الحميرية والسبائية الكثيرة التي وجدت منقوشة في اليمن وما اليهِ جنوباً فان فيها اشارات كثيرة الى عبادات العرب في الجاهلية

﴿ اصلاح النسل ﴾ وضع هذا الكتاب الدكتور مرشد خاطر استاذ الامراض الجراحية في المعهد الطبي العربي بدمشق ورئيس تحرير مجلتهِ الطبية وقد اقدم على هذا البحث المفيد بعد ان رأى « الامراض والعادات تقوض بناء الجسد وتدك صروح العقل وتشل قوى النفس مؤملاً ان يكون للخاطبين والمتزوجين منهُ الفائدة التي ارتجاها لاننا اذا كنا نريد الحياة الحرة فاننا لا نبلغها الاَّ باصلاح نسلنا » . والكتاب في ١٥٤ صفحة بالقطع الصغير سهل التناول جمّ الفوائد وقد طبع بالمطبعة البطريركية الارثوذكسية بدمشق الشام

﴿ درس ومطالعة ﴾ كتاب مفيد يشتمل على روايات ادبية ومقالات اجتماعية وصفحات شعرية وحِكم وعبر تأليف الخوري مارون غصن استاذ الخطابة ومدير المحفل الادبي في كلية القديس يوسف ببيروت . وفي آخر الكتاب بحث فلسفي لغوي اجتماعي موضوعهُ « حياة اللغات وموتها » أُعيد طبعهُ في كتيب على حدة . وشغل تيجشين مهمين الاول في تحوّل ثلاث وعشرين لغة عامية الى لغات فمعى منها الفرنسية والايطالية والاسبانية والانكليزية والالمانية والروسية واليونانية الحديثة والتركية والفارسية الحديثة . والبحث الثاني موضوعهُ قواعد كتابة اللغة العامية السورية

﴿ المتقرب لتعليم اللغة الفرنسية باللفظ ﴾ ترجمان عربي فرنسي وضعهُ الاستاذ احمد ابو الخضر المنسي . وتسهيل تناولهِ على المبتدئين في درس اللغة الفرنسية وضع لفظ الكلمات الفرنسية بالحروف العربية وعندنا انهُ قلّما يستطيع المبتدىء ان يتعلم اللفظ الفرنسي الصحيح بالنظر الى كيفية كتابتهِ بالحروف العربية . وهذا نفس ما يصيب السياح الانكليز والاميركان الذين يعتمدون على تعلم بعض الالفاظ العربية من كتب وضعت لذلك بالانكليزية . والكتاب مطبوع بمطبعة الاعتماد بمصر

﴿ فاتنة المهدي ﴾ رواية غرامية تاريخية وضعها المستر دوجلاس لندن ونقلها الى العربية الاديب وهبه افندي فهمي تدور حوادثها على سفر غردن باشا الى السودان وسقوط الخرطوم وام درمان في قبضة الدراويش وقتل غردن وما تلا ذلك من الحوادث حتى زحف الجيش المصري وفتح الخرطوم وذلك على اسلوب روائي غرامي شائق

﴿ كتاب مشاهد اليابان ﴾ في اللغة الانكليزية سلسلة من الكتب تدعى «نغمات من مختلف البلدان» وهذا احدها تأليف الكاتب الانكليزي جون فتيور وترجمة عوض افندي جندي فيه وصف مسهب لاحوال اليابان الاجتماعية وعادات اليابانيين صغاراً وكباراً في بيوتهم واعمالهم وملاهيهم . وفيه ١٧٦ صفحة من القطع الصغير

﴿ كيف تصير خطيباً ﴾ رسالة في ٨٠ صفحة بالقطع الصغير وضعها الاستاذ حسن صالح الجداوي وبحث فيها ابحاثاً عملية مفيدة في تأثير الكلام واركان الخطابة اي الصوت والنطق والاشارات وما يتعلق بالمحادثة وخطب الولائم وما اشبه . وقد طبعت بالمطبعة السلفية بمصر

﴿ وحي الغاب ﴾ مقالات بعضها شعري خيالي وبعضها اجتماعي انتقادي ديجتها يراعة الاديب عيسى مخائيل سابا ويلوح لنا ان على المقالات الخيالية منها صبغة من روح الرياشي مؤلف «النبوغ» و«الجبابرة» . وقد طبعت بمطبعة القاموس العام ببيروت وصفحاتها ثمانون صفحة من القطع الصغير

﴿ انواع الغرام في باريس ﴾ درس في معيشة النساء الفرنسيات وضعهُ بالفرنسية الكاتب الشهير مارسل بريفو ونقلهُ الى العربية عن الترجمة الروسية سليم افندي قبعين صاحب مجلة الاخاء وجعلهُ هدية للمشتركين فيها

﴿ السرطان ﴾ بحث مستفيض في اعراض هذا الداء الوبيل وانقائهِ وعلاجهِ وضعهُ العالم العامل الدكتور محمد عبد الحميد بك رئيس جراحي مستشفى الملك وعني بطبعهِ ونشرهِ مجاناً نجيب افندي متري صاحب مكتبة المعارف بالنجالة فلها مزيد الشكر